الأهرام

المصدر: الاهالى

التاريخ : ١٧ ابريل ٢٠٠٢

لاهوت التحرير يبدأ من الأرض

الأب وليم سيدهم: خلاص الإنسان يتحقق بتحرير الأرض

الراهب والكاهن.. فى المعركة ضد الاحتلال والظلم

بعد أن بلغت انتفاضة الأقصى ذروتها بحصار كنيسة المهد، وانطلقت شرارة تنظيم مسيحي جديد، وهو تنظيم المهد لتحرير الأراضي المقدسة، رأي بعض المحللين أن أفكار لاهوت التحرير عادت تسطع من جديد علي بيت لحم.. الأمر الذي تطلب اللقاء مع المفكر المصري الأب اليسوعي وليم سيدهم، صاحب الأفكار والدراسات والكتب عن لاهوت التحرير، والراهب الثوري الذي ارتبط بأفكار المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقها، وحتي عضويته الآن في اللجنة الشعبية المصرية لدعم الانتفاضة. ودون مقدمات.. وكما يقول «برنارد شو» دع الموسيقي تتحدث عن نفسها».

يقول الراهب الثوري المفكر : ظهرت حركات لاهوت التحرير كرد فعل لوجود حكومات عسكرية ديكتاتورية في دول أمريكا اللاتينية، تؤيد الغرب ويؤيدها، لكي تقيه من الأفكار الثورية الشيوعية حينذاك، واتخذ الفاتيكان موقفا متوجسا منها، خشية تخلي الكاثوليك عن ايمانهم وتحولهم للماركسية، أما الكنيسة المحلية فقد بدأت في إعادة قراءة التاريخ علي أساس أن المسيحية الغربية، في عهودها السالفة، ارتبطت بالعنف الاستعماري، وانخرطت الكنائس المحلية في الاهتمام بالعلوم الإنسانية بعيدا عن أفكار مجتمع الوفرة، التي لا تلبي احتياجات الفقراء ذات الارتباط الوثيق باللاهوت الغربي. وعلي أثر ذلك تشكلت المجموعات الأولى التي اهتمت بالقضايا الاجتماعية مثل الصحة، وإيجاد فرص العمل والتعليم المتحرر، وعقب ذلك جرى صراع كبير اضطر فيه بعض الكهنة إلى اللجوء للكفاح المسلح لمقاومة ظلم الديكتاتوريات في أمريكا اللاتينية، وأخذت الحركة مشروعيتها من خلال مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ – ١٩٦٥)، والذي انبثقت منه وثائق تؤيد انفتاح الكنيسة علي العالم واحترامها للأديان الأخرى.

ثم تكونت مجموعة من اليسوعيين في أورجواي والأرجنتين للتحرر من اللاهوت المدرسي التقليدي، وإبداع لاهوت جديد مرتبط بالواقع المحلي، وقائم علي إعادة قراءة التاريخ المحلي، وأن الكاهن ليس حارس العقيدة المسيحية، بل خادم للشعب، والاهتمام باستخدام العلوم الحديثة من سياسة واجتماع وفلسفة واقتصاد. ثم استطاع (٢٠٠٠) من الرهبان اليسوعيين إصدار القرار رقم (٤) الذي يربط الإيمان بالعدالة، حيث لا يوجد إيمان حقيقي للإنسان المسيحي، بدون الارتباط بالعدالة، وعقب ذلك انخراط الرهبان في الدفاع عن الفقراء والعدالة بما في ذلك الانخراط بالتأييد والفعل للكفاح المسلح، وطالبوا بأن تعمل الكنيسة مع الفقراء والمظلومين.

وانتشر هذا التيار في إفريقيا للتخلص من التفرقة العنصرية، نابعا من واقع الحياة، وليس من مقالات مجتمع الوفرة، وبمنطق وأساليب تتناسب مع المجمعات الإفريقية، وفي آسيا انتقل لاهوت التحرير إلى الهند والفلبين مؤخرا، بعدما انحصرت المسيحية في الارتباط بالغرب، وابتعدت عن الواقع المحلي وهموم شعوبها، وهكذا فإن رسالة لاهوت التحريري هي أن الله من خلال الإيمان المسيحي، يحرر الإنسان من شر أخيه الإنسان ومن شر نفسه، فالإنسان يتحرر من خلال تحرير المجتمع من كل صور الظلم، وبذلك أصبح مفهوم الخلاص جماعيا علي مستوي الكنيسة كلها، وليس فرديا.. وبالمثل الخطيئة، وأصبح التناول والاعتراف مجرد طقوس لأناس يعيشون في حرية وعدالة.

لاهوت السماء

ويوضح الأب وليم سيدهم أن اللاهوت التقليدي كان يحث الفقير علي ان الله سوف يعوضه في السماء، ولكن ملكوت السماء يبدأ بالمكان الذي نحيا فيه طبقا للاهوت التحرير، وهكذا فالصلاة والصوم لا معني لهما وبجواري إنسان مظلوم لا اساعده.

ويضيف في الوطن العربي حاولت نقل هذه الأفكار إلى المجتمع المصري، لتجديد طريقة تفكيرنا، ورؤيتنا للكاهن، ودوره ، بالإضافة لتطوير فكرنا للكتاب المقدس الذي يحفزنا علي المشاركة.

أما عن القضية الفلسطينية فهي ليست مرتبطة بعقيدة دينية، ولكنها ارتبطت بتصدير الغرب الامبريالي للفكر الصهيوني، مستغلا مشاعر بعض اليهود حول اضطهادهم من قبل النازي.. وهكذا اغتصبوا أرض فلسطين بحجة انها ارض الميعاد، وأعلنوا دولتهم، عن أي حق تاريخي يتحدثون إذا كانت سنوات بقاء اليهود في فلسطين قليلة، أما الفلسطينيون فوجودهم سابق حتي علي وصول اليهود لأرضهم المزعومة.

ديمقراطية عنصرية

وهكذا لابد أن يستوعب المسيحيون أركان لاهوت التحرير مع إدراك أن دولة إسرائيل مصطنعة والديمقراطية التي تتحدث عنها ديمقراطية عنصرية.

ولذلك من أجل حرية الإنسان، نرفض المجازر ، وحرب الإبادة، التي تقوم بها إسرائيل، سواء كانت لأسباب استعمارية، أو اقتصادية، أو للأسباب الواهية التي يتحدثون عنها في إطار مكافحة الإرهاب، وتصرف القطب الواحد المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية الأعمي لأنها تعامل الضحية كأنها المذنب.

وقد استغلت إسرائيل الدين لبناء دولتها. ومن واجبنا استغلال الدين للتحرر، الأمر الذي يتوافق مع ما ذهب إليه الرئيس مبارك من تطوير الخطاب الديني لأن جوهر الدين، هو تحرير الإنسان.

المطران كابوتشي

ويؤكد الأب وليم سيدهم، أن المطران كابوتشي الأسقف الكاثوليكي كان من أوائل المرتبطين بالمقاومة الفلسطينية، مثله مثل مسيحيين آخرين منهم جورج حبش ونايف حواتمه وحنان عشراوي، وكل اخواتنا الذين اثبتوا انهم جزء لا يتجزء من العالم العربي، ويعاني كابوتشي حتي الآن من إبعاده عن الأراضي المقدسة.

وانتهي سيدهم بالقول إن ما يحدث في كنيسة المهد يوضح أن إسرائيل لم تقم علي مبادئ دينية، بل سياسية واقتصادية، وهي لاتحترم المقدسات سواءكانت مساجد أو كنائس أو حتي المعابد اليهودية. فالغاية تبرر الوسيلة لديهم، والمجتمع الإسرائيلي قائم علي الوحدة ضد الأعداد ، ولذلك يخشون أن يفتتهم السلام مع العرب. ولذلك فالسلام ضرب من الاستحالة مع الصهاينة، لأنهم غير قادرين علي صنع السلام حتي بين أنفسهم، ولذلك فالدولة اليهودية عنصرية، والحل الوحيد لهم هو قبولهم بدولة ديمقراطية علمانية، يعيشون فيها مع العرب، مثلما حدث في جنوب إفريقيا، وشارون هو آخر ورقة عندهم لأنها دولة مصطنعة ، والنصر الأكيد سوف يكون للعرب، وسيكون خيار إسرائيل،إما الفناء أو التعايش.

س . ش

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية